المبحث الثالث

البناء التنظيمى
لجماعات الإسلام السياسىفى الوطن العربى
وأثره على السلوك السياسى لهذه الجماعات

مصر كحالة للدراسة

فى هذا المبحث نحاول اختبار صحة الفرض التالى وهو أن البنـاء التنظيمى لجماعات الإسلام السياسى كان عاملاً من العوامل التى دفعت هذه الجماعات إلى العنف السياسى، وسنحاول قياس صحة هـذا الفرض استنادًا إلى المعـايير التالية:

(أ) أسلوب تجنيد الأعضاء وإعدادهم للانضمام إلى هذه الجماعات.

(ب) خصائص البناء الهيكلى لهذه الجماعات.

(جـ) التكوين العضوى لهذه الجماعات بمعنى نسبة الشباب إلى كبار السن فى ثنايا هذه الجماعات ونظرًا لتوافر المعلومات عن هذه الجماعات فى مصر، وخاصة عن جماعة الإخوان المسلمين لأننا نعتبرهـا الجماعـة الأم التى خرجت من أحشائها كافة الجماعات الإسلامية المعاصرة، هذا بالإضافة إلى تأثر الجماعات الإسلامية الأخرى فى كافة أنحاء الوطن العربى بفكر وخبرة هذه الجماعة، فإننا سنقوم بدراسة حالة مصر، مع تقديم دراسة مقارنة فى خاتمة المبحث عن جماعات الإسلام السياسى فى الوطن العربى، والتى توافرت المعلومات العلمية الدقيقة عنها فى هذا المجال.

أولاً – أسلوب تجنيد الأعضاء وإعدادهم للانضمام إلى الجماعات الإسلامية فى مصر :

سنبدأ بدراسة أسلوب تجنيد جماعة الإخوان المسلمين، بوصفها الجماعة الأم لهذه الجماعات ثم نبين بعد ذلك مدى تأثر هذه الجماعات المعاصرة بهذا الأسلوب، ولهذا سنحاول أن نعرض بالتفصيل لهذا الأسلوب سواء فى نطاق المستوى العلنى لجماعة الإخوان المسلمين أو مستوى النظام الخاص (السرى) لهذه الجماعة، وبعد ذلك نعرض لأسلوب التجنيد السياسى لعضوية ثلاث جماعات إسلامية معاصرة، وهى حزب التحرير الإسلامى (جماعة الفنية العسكرية)، جماعة المسلمين (التكفير والهجرة)، تنظيم الجهاد الإسلامى، مقارنين فيما بينها وبين جماعة الإخوان:

ثانيًا – أسلوب التجنيد السياسى لجماعة الإخوان المسلمين فى نطاق النشاط العلنى للجماعة :

فى هذا المجال سنلحظ أن أسلوب التجنيد يمر بعدة مراحل كما أوضحت ذلك الخبرة السياسية لتكوين هذه الجماعات.

المرحلة الأولى تتمثل فى الدعوة المباشرة من خلال الاتصال المباشر بالجماهير، وهذا الأسلوب تتسم به تقريبًا معظم هذه الجماعات، وعادة ما تبدأ هذه الدعوة فى نطاق محدود، ثم تبدأ بعد ذلك فى الاتساع التدريجى، فجماعة الإخوان المسلمين فى مصر بدأت فى التكوين من خلال مجموعة لا تتجاوز سبعة أفراد بما فيهم المرشد العام حسن البنا على نحو ما يذكر فى مذكراته، ثم بعد ذلك بدأت هذه الحلقة فى الاتساع شيئا فشيئًا، من خلال الاتصال المباشر بالناس وقد اضطلع بهذه المهمة الشيخ حسن البنا، فأخذ يجوب القرى والنجوع فى جميع أنحاء مصر، داعيًا لدعوته، ويشير أحد الباحثين إلى أن رحلات البنا قد تكررت مئات بل وآلاف المرات والشيخ الشاب يحمل حقيبة صغيرة فيها ملابسه،

يتجول من قرية إلى قرية، يقصد أعيان القرى يقيم فى مضايفهم، يتحدث ويناقش ويدعو فإن لم يجد صدرًا رحبًا، فالمسجد موجود فيه يستريح وينام ويدعو الناس»[1].

ويشير أحد الكتاب الأمريكيين الذين التقوا بالشيخ حسن البنا إلى هذا الصبر العجيب الذى تمتع به الرجل فى الانتقال بين قرى الصعيد فى فترة الصيف، وهى فترة تكون فيها الظروف المناخية شديدة الحرارة والقسوة فى هذه المناطق[2]، وقد كان من أهم الانتقادات التى وجهت للمرشد العام الثانى حسن الهضيبى، وهو عزوفه عن القيام بمثل هذه الرحلات إلى الصعيد فى الصيف، حيث كان يقضى الصيف فى الإسكندرية.

وقد أمدته هذه الرحلات فى خمسة عشرة عامًا زار خلالها أكثر من ألفى قرية، وزار كل قرية بضعة مرات، بفيض غزير من العلم والفهم للتاريخ القريب للأسر والعائلات والبيوتات، وأحداثها وأمجادها وما ارتفع منها وما انخفض، وألوانها السياسية وأثرها فى قراها، ورضا الناس عنها وبغضهم لها، وما بين البلاد أفرادًا وأحزابًا وهيئات وطوائف من خلافات أو حزازات[3].

ويعلق رفعت السعيد على هذا فيذكر: أن هذه الشبكة الواسعة جدًّا من العلاقات الشخصية هى مصدر زعامة حسن البنا وهيمنته على الجماعة، فإن عشرات آلاف من أعضاء الجماعة، كانوا يفخرون بأنهم أصدقاء شخصيون للبنا، ومن هذه الصداقات وبها أقام المرشد جماعته وهيمن عليها[4].

---

(١) د. رفعت السعيد، حسن البنا، متى كيف ولماذا؟ القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٧٧، ص ٤٧ .

(٢) روبير جاكسون، رأى كاتب أمريكى فى حسن البنا، ترجمة أنور الجندى، مجلة الهلال، القاهرة، دار الهلال، عدد أبريل ١٩٧٧ .

(٣) روبير جاكسون، مرجع سابق.

(٤) د. رفعت السعيد، مرجع سابق، ص ١٨ .

والواقع أننا نستطيع أن نقدم الملاحظات التالية على هذه المرحلة من مراحل التجنيد السياسى لأعضاء جماعة الإخوان المسلمين فى مصر:

أولاً: اختار البنا الأسلوب المناسب لعرض دعوته، فى مجتمع ترتفع فيه الأمية، وللدين موضعه فى حياته، كما أن للدين الإسلامى تقاليده الخاصة والمتأصلة فى المجتمع من حيث الاتصال الشفهى المباشر، والذى يتم عادة من خلال خطب الجمعة والدروس الدينية التى تعقد فى المساجد، هذا النوع من الاتصال المباشر بالجماهير هو أكثر الأنواع فاعلية من حيث الإقناع كما أنه يتيح للقائم بالاتصال فرصة التعرف على رد فعل المتلقين إيجابًا أو سلبًا، الأمر الذى يمكنه من تطوير رسالته الاتصالية بما يحقق لاتصاله أكبر إقناع ممكن، وقد أتاح استخدام البنا لهذا الأسلوب فرصة القيام بالحشد والتعبئة للجماهير على نطاق واسع بالنسبة لدعوته، وهو ما أتاح له بعد ذلك قاعدة واسعة مهيئة للتجنيد وللانضمام لعضوية الجماعة.

ثانيًا: اتاحت الرحلات العديدة التى قام بها البنا إلى آلاف القرى والنجوع فرصة الإلمام بخصائص الواقع الذى يتعامل معه، الأمر الذى جعله يختار الأساليب المناسبة للتعامل مع الجماهير فى هذه المناطق، مع تجنب أية أخطاء قد تحدث نتيجة لهذا التعامل والتى قد ترجع إلى طبيعة العلاقات بين العائلات والأفراد فى هذه المناطق، كما أتاحت له هذه الرحلات فرصة التعرف على الشخصيات المؤثرة والقوية التى يمكن من خلالها إقناعها بالدعوة وضمها إلى الإخوان أن تقوم بدور مؤثر فى توسيع قاعدة العضوية، وأن تكون عوضًا للجماعة فى نشاطها بعد ذلك.

ثالثًا: خلق هذا الأسلوب فى الاتصال المباشر بالجماهير نوعًا من علاقة الولاء لشخص المرشد العام للإخوان المسلمين، الأمر الذى ساعده بعد ذلك على أن يقيم علاقته مع أتباعه على الطاعة المطلقة فى المنشط والمكره.

المرحلة الثانية فى أسلوب التجنيد السياسى الذى اتبعه الينا تمثل فى إقامة نظام محكم للعضوية وكان ذلك من خلال المؤتمر العام الثالث للإخوان عام ١٩٣٥، ويحدد المرشد العام شروط العضوية ويحدد درجاتها، أما بالنسبة للشروط العامة للعضوية فيقول: «على العضو الراغب فى الانضمام أن يتحلى بالأخلاق والسمعة الحسنة والسلوك المتين، ويكون لديه الاستعداد للطاعة التامة وتنفيذ ما يلقى عليه من أوامر»[1]، وعلينا أن نضع أكثر من علامة استفهام بالنسبة للشرط الأخير الخاص «بالطاعة التامة وتنفيذ ما يلقى عليه من أوامر» حيث أن هذا الشرط سيعد شرطًا هامًا بالنسبة لعضو الجماعة، وسنلاحظ بعد ذلك اتجاه المرشد العام إلى تعميق هذه الصفة لدى الأعضاء إلى حد دمجهم الكامل فى نطاق الجماعة، أما درجات العضوية، فقد حددها على النحو التالى: الانضمام العام ويسمى الأخ فى هذه المرتبة أخًا مساعدًا، ثم الانضمام الأخوى الذى يكون فيه العضو أخًا منتسبًا، فالانضمام العملى الذى يصبح فيه العضو أخًا عاملاً، ونصل إلى الدرجة الرابعة وهى درجة الانضمام الجهادى، وهى ليست حق لكل مسلم يرغب فى ذلك كما هو الحال فى الدرجات الثلاث السابقة، بل هى «من حق العضو العامل فقط الذى يثبت لمكتب الإرشاد محافظته على واجباته السابقة»[2].

ويلاحظ أن القاعدة المتاحة للتجنيد السياسى للأعضاء تضيق من مرحلة لأخرى، فمن قاعدة جماهيرية متسعة يتم إقامة العضوية المنظمة بدرجاتها الثلاث السابق الإشارة إليها، ثم من قاعدة العضوية العاملة يتم تجنيد الأعضاء المجاهدين، وكل هذا يتم وفقًا لقواعد صارمة شديدة الدقة، ولمكتب الإرشاد والمرشد العام

---

(١) حسن البنا، تذكرة الداعى، مقال بمجلة الإخوان المسلمين الشهرية، العدد ٩ ، بدون تاريخ.

(٢) حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، مرجع سابق، ص ١٩٤ .

دور مباشر وقوى فى هذا المجال، فإذا ما علمنا بأن المرشد العام كان مسيطرًا سيطرة شبه تامة على مكتب الإرشاد فإنه يمكن القول بأنه كان له دور هام فى هذا الصدد كما يلاحظ أن أحد العوامل الهامة لتجنيد العضو وتصعيده من درجة إلى أخرى، هى الطاعة والالتزام التام بالأوامر والواجبات التى تحددها له الجماعة، ولعل فى قسم البيعة عند الإخوان ما يؤكد هذا يقول هذا القسم «أعاهد الله العلى العظيم على التمسك بدعوة الإخوان المسلمين والجهاد فى سبيلها والقيام بشرائط عضويتها والثقة التامة بقيادتها، والسمع والطاعة فى المنشط والمكره، وأقسم بالله على ذلك، والله على ما أقول وكيل»[1]. وواضح أن هذا القسم يعنى الخضوع التام للمرشد من قبل الأعضاء، وفى أدبيات الإخوان العديد من الآراء فى هذا الموضوع والتى تدور حول الأسس الفقهية لهذا الوضع[2].

ولنعرض لآراء الشيخ عمر التلمسانى المرشد العام الثالث للإخوان المسلمين فى هذا الجانب، فبالنسبة لبيعة الإمام أو المرشد العام يقول: إن كلمة البيعة التى يدور حولها الكثير من الجدل بل وربما الشكوك من الذين يريدون أن يشوهوها ليست بالكلمة التى تخيف إنسانًا أو تربط إنسانًا بإنسان لأن الله تعالى يقول: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾ فالأخ المسلم إذا بايع رئيس الجماعة، فهو لا يبايع إنسانا بالذات، ولكنه يبايع الله سبحانه وتعالى على الوفاء مخلصًا فى العمل الذى أراد أن يساهم فيه[3].

ولن نعلق على هذا الرأى إلا بأن المخاطب فى هذه الآية هو رسول الله ﷺ. ويقول الشيخ التلمسانى عن العلاقة مع المرشد العام:

---

(١) نقلا عن د. رفعت السعيد، مرجع سابق، ص ٥٢ .

(٢) انظر فى ذلك أبو الأعلى المودودى، نظرية الإسلام السياسة، القاهرة، مطبوعات الجماعة الإسلامية بجامعة القاهرة، ١٩٧٧ .

(٣) حوار مجلة المصور القاهرية مع الشيخ عمر التلمسانى، العدد ٢٩٨٩ ، ١٩٨٢/١/٢٢.

«نحن أميل إلى الثقة فى كلام مرشدنا عن أى شخص آخر، نعتقد دائمًا أنه على صواب إلا إذا حاد فنقول له إنك لست مرشدًا[1].

ونصل إلى المرحلة الثالثة من مراحل التجنيد السياسى، وهى مرحلة تجنيد الأعضاء المجاهدين. وضع البنا نظامًا يعرف باسم نظام الأسر، الذى يعتبر المجال العملى للتربية الروحية للإخوان المسلمين، وعندما نظمت عضوية الإخوان إلى مراتب، أصبح دخول نظام الأسر قاصرًا على الإخوان العاملين، وكانت كل أسرة تتكون من عدد يتراوح ما بين خمسة وعشرة أعضاء، وتقوم على أساس فئوى فكانت تتكون إما من طلبة أو موظفين أو عمال، ومن تعاليم نظام الأسر، أن يعرف كل فرد فيها أعضاء أسرته الاجتماعية والثقافية والأخلاقية والعائلية، وكانت كل أسرة تعقد اجتماعًا أسبوعيًا فى منزل أحد الأعضاء لزيادة التآلف، وتدارس النواحى الدينية، كما كان من برامجها، القيام برحلات وحضور اجتماعات روحية، مع أشخاص أكثر إلمامًا وفهمًا لشئون الدعوة، ولم يلبث أن تحول نظام الأسر، إلى نظام لتخريج المجاهدين، وهم خاصة الإخوان وأرقى مراتب العضوية فيها، وقد وجه الإمام البنا خطابه إلى الإخوان المجاهدين فى رسالة التعاليم[2]، وحدد فى هذه الرسالة أركان البيعة بعشرة هى الفهم، والإخلاص، والعمل، والجهاد، والتضحية، والطاعة، والثبات، والتجرد، والأخوة، والثقة، وعرف الجهاد بأنه الفريضة الماضية إلى يوم القيامة، والمقصود بقول رسول الله ﷺ «من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية»، وفسر التضحية بأنها بذل النفس والمال والوقت والحياة وكل شىء فى سبيل الغاية، وفسر الطاعة، بأنها امتثال

---

(١) المصدر السابق.

(٢) د. عبد العظيم رمضان، الإخوان المسلمون والتنظيم الخاص، القاهرة، مطابع روزاليوسف، ١٩٨٢، ص ٤٥: ص ٤٦.

الأمر وإنفاذه توا فى العسر واليسر والمنشط والمكره، وفسر الثقة، بأنها اطمئنان الجندى إلى قائده فى كفاءته وإخلاصه اطمئنانًا عميقًا[1].

ويرى د. عبد العظيم رمضان أن الأسر قد أصبحت مدخلاً للنظام الخاص باعتباره المجال العملى للجهاد، والأسر هى المجال الروحى، فقد روعى فى نظامها أن ينقل العضو إلى النظام الخاص انتقالاً تدريجيًّا طبيعيًّا[2]، والواقع أن الأسر أصبحت واحدة من القنوات التى يتم من خلالها تجنيد الأعضاء للانضمام إلى النظام الخاص، ذلك لأن العديد من أعضاء النظام الخاص لم يكونوا ملتحقين بالأسر، وبعضهم لم يكن عضوًا عاملاً فى الإخوان[3]، ولكن مع اتجاه قيادة الجماعة إلى بناء النظام الخاص اتبعت أكثر من وسيلة ولجأت إلى أكثر من قناة لتجنيد أعضاء النظام الخاص.

ثالثًا – أسلوب تجنيد عضو التنظيم الخاص للإخوان المسلمين :

سنستند فى عرضنا لأسلوب تجنيد عضو التنظيم الخاص للإخوان المسلمين إلى أحد قادة هذا التنظيم وهو السيد/ محمود الصباغ، وذلك من خلال ما كتبه ونشر عام ١٩٨٩ ، وقد استند فى عرضه إلى الأوراق المضبوطة فى واقعة ضبط سيارة الجيب عام ١٩٥٠[5]، والتى حوت الأوراق، الخاصة بهذا التنظيم.

---

(١) محمد شوقى زكى، الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى، مكتبة وهبة، ١٩٥٤، ص ٣٨ : ٣٩ ، نقلاً عن د. رمضان، المرجع السابق، ص ٤٦.

(٢) د. عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص ٤٧ .

(٣) انظر فى ذلك: محمود الصباغ، حقيقة التنظيم الخاص ودوره فى دعوة الإخوان المسلمين، القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٨٩.

(٥) تم ضبط هذه السيارة فى منطقة عابدين عام ١٩٥٠ ، وقد أصدر النقراشى باشا رئيس الوزراء آنذاك قرارًا بحل جماعة الإخوان المسلمين، وألقى القبض على مجموعة من أعضاء الجماعة والتنظيم الخاص وقدموا للمحاكمة بتهمة محاولة قلب نظام الحكم باستخدام القوة.

ويوضح الصباغ فى كتابه أسلوبين من أساليب التجنيد السياسى لأعضاء النظام الخاص للإخوان المسلمين، الأول عند بداية تكوين هذا التنظيم، وكان الأسلوب المتبع هو «أن يرتبط بالأخ عبد الرحمن السندى بصفته المسئول عن إعداد هذا الجيش المسلم فى تنظيم الإخوان المسلمين، كل من يرى نفس الرأى ويشعر بنفس الشعور، ويجب الارتباط بالجيش المسلم الذى يجرى إعداده لأداء فريضة الجهاد، وكان أول ما يتعاهد عليه من يكتشف الأخ الصالح للإرتباط بهذا الجيش مع العضو الجديد، هو تميز هذا الجيش عن الدعوة العامة بالسرية الكاملة فى أقواله وأفعاله، فلا يصح الحديث فى شأنه، إلا مع زميل من أعضائه الذين يتعرف عليهم بواسطة قيادة النظام، وكان أول ما يختبر به جدية العضو الجديد فيما أعلنه من رغبة صادقة فى الجهاد فى سبيل الله أن يكلف بشراء مسدس على نفقته الخاصة[1].

وقد تطور بعد ذلك أسلوب تجنيد الأعضاء بعد استكمال البناء التنظيمى للنظام الخاص؛ «فأحد أفراد الجيش يرشح شخصًا يرى من روحه ما يناسب التجنيد، ثم يرسل الترشيح إلى القيادة العليا، مرفقًا به بيان الأسباب التى دعت الفرد إلى هذا الترشيح، مع تقرير شامل عن حالة المرشح صحية واجتماعية، وطباعه البارزة، وميوله الحزبية وثقافته، ويذكر أمام كل حالة التفصيلات الخاصة بها ويكفى الميل لأى حزب كى يرفض الترشيح رفضًا باتًا إذ يجب أن يكون المرشح مؤمنًا تمامًا بصلاحية الدعوة كمبدأ، وأنه متى توفر هذا الإيمان التام، فإنه يمكن ضم أى شخص ولو كان ذو عاهة، إذ أن لكل عمل ما يناسبه، ومجلس القيادة هو الذى يقبل المرشح أو يرفضه[2] ويمكن أن تسمى المرحلة فى التجنيد للانضمام إلى النظام الخاص بمرحلة الترشيح، فإذا ما قبل المرشح تبدأ مرحلة جديدة وهى مرحلة الاختبار، ويلاحظ أنه قد تم تشكيل خاص

(١) محمود الصباغ، مرجع سابق، ص ١٢٧ .
(٢) المرجع السابق، ص ١٤٨ .

لهذه المرحلة يسمى بجماعة المكونين، ويتخصصون فى هذا العمل، ويقابل المكون الشخص المرشح للانضمام إلى النظام الخاص على انفراد فى مكان محدد كمنزل، ويكون الضوء مناسبًا، بحيث يكون للمقابلة الأثر المطلوب فى نفس الشخص، وبعد ذلك تبدأ عملية الإعداد والاختبار للعضو المراد تجنيده، من خلال ثمانى جلسات، وتتضمن هذه الجلسات، التعرف على كافة المعلومات الخاصة بهذا الشخص، وتوجيهات خاصة بالثقة فى القيادة والإقتناع بمشروعية العمل، وضرورة الصمت والكتمان، وكذلك توجيهات خاصة بما يجب مراعاته عند تكليفه بالقيام بأى عمل، كما تشمل هذه الجلسات تكليفه بعمل له أهمية ورسم خطة له، ومراقبته أثناء التنفيذ، ثم العدول عن الفكرة مع إفهامه بأسباب هذا العدول بشكل معقول فى حالة النجاح فى الاختبار، يقدم الشخص للبيعة فى القاهرة، بصحبة باقى أفراد جماعته، ويكون ارتباط أفراد الجماعة لأول مرة وقت البيعة، يقوم رقم ١ بتوصية الأفراد بحق الطاعة لأميرهم بعد البيعة مباشرة، وفى حالة الرسوب بإحدى الاختبارات السابقة يلحق الشخص بأسرة، أو ما أشبه ذلك من الأعمال العامة، وفى حالة النجاح يعرف الشخص أن ما فات كان اختبارًا وقد اجتازه بنجاح وأنه الآن فى انتظار أوامر حقيقية[1].

بعد ذلك تبدأ مرحلة التكوين للعضو الذى تم تجنيده للإنضمام إلى النظام الخاص، وتتكون هذه المرحلة من خطوات أربعة، مدة كل منها خمسة عشر أسبوعًا، تتضمن الأولى دروسًا فى المحاسبة وكتابة التقارير، ودراسة الفلاح، وطريقة جمع الأخبار، ودروسًا فى القرآن الكريم، والإسعافات الأولية، وتدريبًا رياضيًا، وبعد الانتهاء من الدراسة، تعقد القيادة امتحانًا فيما ورد فيها، بنقل الناجحين فيه إلى المرحلة الثانية فى التكوين وتشمل دراسة قانونية، ودراسة عملية وتطبيقية فى مجال رسم الخرائط وتقدير المسافات ودراسة البوصلة، بالإضافة

(١) المرجع السابق، ص ١٢٩: ص ١٣٤ .

إلى بعض التدريبات الرياضية والروحية، ويجرى امتحان ينتقل من يجتازه إلى المرحلة الثالثة، والتى تشمل تعليم قيادة الموتوسيكل والسيارة، ودراسة فى القانون والإسعاف وتدريبات رياضية هذا بالإضافة إلى دراسة منطقة معينة فى القاهرة والأقاليم ورسم خريطة جغرافية لها وبيان الأبنية الهامة تفصيليا، وكذلك يجرى امتحان يؤهل من اجتازه للمرحلة الرابعة والتى تشمل قيام كل فرد من أفرادها بحصر قوات البوليس فى قسم معين، وحصر قوات المرور وأماكنهم فى منطقة معينة، ودراسة عملية لمدينة القاهرة، وذلك ببيان أحيائها وعلاقتها ببعضها البعض، ومسالكها، ومواصلاتها، وكيفية مهاجمة مكان ما ودراسة حربية ودروس فى القانون، وتدريبات رياضية، ودراسة فى التعقب يقوم بها كل فرد، ثم يعقد امتحان يكون من اجتازه قد اكتسب العضوية الكاملة فى التنظيم الخاص للإخوان المسلمين[1].

ويمكن من خلال هذا العرض أن نقدم الملاحظات التالية:

(ا) إن أسلوب تجنيد عضو الجهاز الخاص للإخوان المسلمين قد تميز بالتعقيد الشديد، والدقة البالغة، كما أن العضو لا يكتسب العضوية الكاملة إلا بعد فترة طويلة من التكوين تشمل العديد من الاختبارات الدقيقة.

(ب) إن عملية التكوين كانت عملية شاملة تشمل الجوانب الروحية والاجتماعية والنفسية بالنسبة للشخص المرشح للانضمام للعضوية، وذلك بحيث يتم دمج العضو فى الجماعة دمجًا كاملاً، كما أن هذه المرحلة تتسم باكتسابه العديد من المهارات الرياضية والعسكرية وجمع المعلومات والأخبار وإعداد التقارير، كما أنها تتسم بطول الفترة فمرحلة التكوين تتم خلال ٦٠ أسبوعا تسبقها مرحلة الاختبار، والتى تستغرق حوالى ثمانية أسابيع، فإجمالى هذه

(١) المرجع السابق، ص ١٣٤: ص ١٣٨ .

الفترة حوالى ٦٨ أسبوعًا أى حوالى سنة ونصف، وهى فترة طويلة يخضع خلالها العضو المرشح للمراقبة، والعديد من الاختبارات الدقيقة النظرية والعملية.

(جـ) يتم إلزام العضو المرشح بضرورة الكتمان وعدم إفشاء السر وإلا تعرض للموت، وقد جاء فى هذا الصدد، إن أية خيانة أو إفشاء سر بحسن قصد أو بسوء قصد، يعرض صاحبه للإعدام، وإخلاء سبيل الجماعة منه مهما كانت منزلته، ومهما تحصن بالوسائل، واعتصم بالأسباب التى يراها كفيلة له بالحياة، ويتم إلزامه كذلك بالثقة التامة فى قيادته المباشرة، فلا يجوز له رفع الأمر إلى القيادة الأعلى إلا عن طريق رقم ١ ، ومخالفة ذلك ينظر فيها مجلس للتحقيق[1].

وما نصل إليه من خلال هذا العرض المفصل لأسباب التجنيد السياسى لأعضاء جماعة الإخوان المسلمين سواء فى محيطها العام أو النظام الخاص يتمثل فى النتائج التالية:

أولاً: تعددت أساليب التجنيد السياسى للأعضاء، وتطورت بما يتناسب ومراحل تطور الجماعة سواء بالنسبة لمستوى الدعوة العامة العلنية، أو مستوى التنظيم الخاص السرى، الأمر الذى يعنى توافر الخبرات التنظيمية الكفؤة والفعالة لدى الجماعة.

ثانيًا: إن التجنيد السياسى فى مفهوم الإخوان لا يتوقف عند إبداء العضو رغبته فى الانضمام للجماعة بل يمتد لمرحلة، قد تطول أو تقصر بحسب نوع العضوية التى سيرشح لها العضو الذى يرغب للانضمام، يتعرض خلالها العضو المرشح لإعداد فكرى ونفسى وبدنى ومهارى يتناسب ونوع درجة العضوية المرشح لها.

---

(١) المرجع السابق، ١٣٨ .

ثالثًا: إن عملية تكوين العضو المرشح تتسم بمحاولة دمجه دمجًا كاملًا فى الجماعة، وتتم هذه العملية على مراحل بحيث يشعر العضو بأن هذا شيئًا طبيعيًا، وقد أشار إلى ذلك قاتل النقراشى باشا فى اعترافاته أمام المحكمة، حيث قال: إنه انتقل للعمل فى النظام الخاص للإخوان بشكل تدريجى طبيعى ولم يشعر بأى جديد فى الأمر[1]، وعملية الدمج هذه كانت تتم من خلال إحاطة العضو بسيل من الواجبات التى تحيط بحياته كلها، وترسم له أعماله وسلوكه اليومى وعلاقاته الشخصية وأدق تفاصيل حياته، واتباع هذه التعليمات يجعل العضو عضوًا بالجماعة فى كل لحظة من لحظات حياته، فيمارس نشاطه اليومى لا باعتباره فردًا عاديًا، ولكن باعتباره عضوًا وأخًا مسلمًا، بحيث يصبح كما لو كان يستمد وجوده المادى من الجماعة، ويخلق فيه ذلك الطواعية والسلاسة لجماعته، ويصبح هو والآخرون من إخوانه مجتمعًا مغلقًا يحيا أفراده حياتهم اليومية، وفق تعليمات وضعتها قيادتهم لا يشاركهم أحد فى الالتزام بها من خارجهم وبهذا يذوب الأفراد فى الجماعة وفى زعيمها المجسد لها، المبايع على السمع والطاعة بواسطة أمور لا تتعلق بهدف سياسى معين، ولا بمنطق عقلى واضح ولا بنشاط عام محدد، وإنما يذوبون بالانسياق من الداخل باعتبار ما يتهدد الكيان الذاتى للفرد الذى تبنى الجماعة جزئياته، ما يتهدده من انهيار وتهدم لو لفظته الجماعة من صفوفها[2].

عملية الدمج هذه وتكوين المجتمع المغلق والإحساس المغالى فيه بالذات، باعتبار أنه ينتمى إلى الجماعة التى يعد منهاجها وحده، هو الإسلام الصحيح

---

(١) د. عبد العظيم رمضان، مرجع سابق، ص ٤٦ وكذلك د. رفعت السعيد، مرجع سابق، ص ٥٣: ص ٥٤ .

(٢) طارق البشرى، الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ – ١٩٥٢ ، القاهرة ، دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ ، ص ٧١ .

ولا يعتبر غيره كذلك[1] يكون إنسانًا متعصبًا لجماعته لا يقبل بسهولة الآخر الذى يختلف معه فى الفكر، بل وينظر إلى هذا الآخر نظرة متعالية، تستند ضمنيًا إلى أن إسلام هذا الآخر غير صحيح طالما أنه لم يوال الجماعة ولم ينضم إليها، وهكذا يكون عضو الجماعة قد خطا بخطوات واسعة نحو العنف السياسى كسلوك.

رابعًا: على الرغم من أن عملية الدمج الكلى للعضو فى الجماعة تعد شاملة لكافة الأعضاء إلا أنها تتم بدرجة أكبر بالنسبة لدرجتين هامتين من درجات العضوية، وهما درجة المجاهدين، ودرجة أعضاء النظام الخاص، وهما المستويان اللذان سيمارسان العنف السياسى فى أوضح صورة كالاغتيال السياسى مثلاً، الأمر الذى يؤكد ما سبق وأن أشرنا إليه من أن أسلوب تكوين العضو بعد تجنيده يؤهله لممارسة العنف السياسى.

خامسًا: إن هذا الأسلوب فى تكوين عضو الجماعة، يرجع إلى رؤية الإخوان المسلمين للإسلام بوصفه نظامًا يشمل كافة جوانب حياة الإنسان وفى هذا الصدد يقول الشيخ عمر التلمسانى: «الدين لا يعرف شيئًا اسمه سياسة، ولكن الدين ينظم حياة الفرد فى جميع النواحى، كيف يأكل ويشرب يتاجر ويتزوج، كيف يحكم وكيف يحكم وكيف ينام، حتى أن أحد الأعراب قال لبعض الصحابة، لقد علمكم الرسول ﷺ، كل شىء حتى قضاء الحاجة إن القول بأن الإخوان المسلمين يعملون فى السياسة هو قول غريب، ونحن نشتغل بالدين وعندما أقول الربا حرام فإننى لا أتعرض إلى الناحية السياسية والاقتصادية للبلد، ولكننى تعرضت

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٢: ص ٥٣.

ويلاحظ أن طارق البشرى وإن كان قد أعاد النظر فى بعض أفكاره بصدد حركة الإخوان المسلمين فى تقديمه للطبعة الثانية من الكتاب إلا أن هذه النقطة لم يعد فيها النظر، انظر المقدمة فى المرجع السابق خاصة صفحات: ٤٠-٦٨ من المقدمة.

للناحية الدينية بالتصدى، كذلك إذا قلت إن الدين يطالب بحرية الفرد وحكم الشورى، فأنا لا أتكلم فى ناحية سياسية فى الحكم أبدًا، بل أتكلم لأن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿وأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُم﴾[1].

سادسًا: إن الجانب المتعلق بالنواحى العسكرية قد أعطاه النظام الخاص للإخوان أهمية بالغة فى مرحلة تكوين العضو، ولم يقتصر على الجانب القتالى فحسب بل امتد إلى الجانب السياسى لاستخدام الأداة العسكرية ممثلاً فى جمع المعلومات والأخبار والتدريب على إعداد التقارير فى هذا الصدد، الأمر الذى وفر لقيادة النظام الخاص معلومات وفيرة عن الحالة الأمنية فى البلاد، والأماكن الاستراتيجية فيها، وكيفية السيطرة عليها، خاصة بالنسبة للعاصمة القاهرة وهو الأمر الذى يثير أكثر من تساؤل، حول الهدف من جميع هذه المعلومات، بغض النظر عن المقولة التى يطلقها الإخوان عادة لتبرير ذلك بوصفه إعداد المقاتلين والفدائيين لمواجهة المستعمر.

سابعًا: اعتمدت جماعة الإخوان المسلمين على علاقات العبادة والصداقة والقرابة كمدخل للتجنيد السياسى للأعضاء، وإن كان اعتمادها أكثر كان على علاقات العبادة والقرابة فى المستوى العام العلنى للجماعة والذى يطلق عليها المحيط العام، أما فيما يتعلق بالنظام الخاص فكان المدخل الأساسى هو علاقة الصداقة، فمحمود لصباغ انضم إلى عضوية هذا النظام من خلال صديقه مصطفى مشهور على نحو ما يذكر فى كتابه السابق الإشارة إليه، كما أننا لا نجد من خلال تحليل علاقات قيادة هذا الجهاز أى علاقة للقرابة، الأمر الذى يؤكد ما توصلنا إليه من أن علاقة الصداقة كانت المدخل الأول الذى اعتمدت عليه الجماعة للتجنيد فى النظام الخاص.

---

(١) حوار الشيخ عمر التلمسانى مع مجلة المصور القاهرية، مصدر سابق.

ثامنًا: إن اهتمام الجماعة ومرشدها الأول بالصعيد إلى حد قيامه برحلاته إلى قراه ونجوعه فى فصل الصيف الشديد الحرارة فى هذه المنطقة، يثير أكثر من تساؤل حول أهمية اتخاذ البعد المكانى فى التحليل خاصة وأن صعيد مصر يعد من أكثر المناطق تخلفا، من حيث الخدمات والمرافق التحديثية كما تسوده نوعية معينة من العلاقات الاجتماعية التقليدية، التى تحتل فيها العائلة والقبيلة والعشيرة مكانة هامة، وتشير إحدى الدراسات إلى أن مدينة أسيوط قد أصبحت معقلاً هامًّا للإخوان المسلمين، عام ١٩٣٦ ، حيث استطاعت الجماعة أن تجند فى صفوفها أئمة المساجد، ومدرسى المدارس الأولية، مما أكسبها فعالية سياسية فى أحياء أسيوط الفقيرة، ومما ضاعف فى نفس الوقت فى استقطاب الإخوان لفئات واسعة، أن أسيوط استهدفت منذ منتصف القرن ١٩ من حملات التبشير المختلفة[1] الأمر الذى يجعلنا نصل إلى أن جماعة الإخوان كانت تعطى اهتمامًا خاصًّا بالبعد المكانى وخصائصه فى عملية التجنيد السياسى للأعضاء.

بعد أن عرضنا تفصيلاً لأسلوب التجنيد السياسى لجماعة الإخوان المسلمين فى محيطها العام ونظامها الخاص السرى، نعرض الآن لأسلوب التجنيد السياسى لدى ثلاث جماعات إسلامية معاصرة وهى:

(أ) حزب التحرير الإسلامى الذى أسسه د. صالح سرية فى مطلع السبعينات والمعروف بجماعة الفنية العسكرية.

(ب) جماعة المسلمين بزعامة شكرى مصطفى، والمعروفة باسم جماعة التكفير والهجرة.

(جـ) تنظيم الجهاد الإسلامى بزعامة محمد عبد السلام فرج والذى نفذ عملية اغتيال الرئيس الراحل أنور السادات.

---

(١) صابر أحمد نايل، العنف الدينى فى مصر، الحلقة ٢ ، مجلة اليقظة العربية، القاهرة، العدد ٦ ، السنة الرابعة، ص ٢٨ .

ولنتناول كلاً منها بشيء من التفصيل:

أسلوب التجنيد السياسى لحزب التحرير الإسلامى الذى قـام بعملية الفنية العسكرية عـام ١٩٧٤:

تحرك د. صالح سرية مؤسس هذا الحزب فى أوساط الشباب والطلبة فى القاهرة والإسكندرية والكلية الفنية العسكرية، ونجح فى ضم عدد لا بأس به منهم، مع بعض الجنود، وكان عدد أعضاء التنظيم الذين كشفوا وقبض عليهم حوالى ١٠٠ عضو، وكان هناك بعض الأعضاء لم تصل إليهم يد أجهزة الأمن، وحسب ما جاء فى التحقيقات كانت الأولوية لتجنيد الشباب حـديثى السن، من طلبة الجامعات والمدارس الثانوية، تحت ستار الدين، وكان يراعى فى الاختيار الأفراد الذين يتسمون بالاندفاع والتهور والاستعداد لتنفيذ ما يؤمرون به دون تردد، التزامًا بمبايعتهم لرئيس التنظيم على السمع والطاعة، كما كان يراعى فيهم كذلك ألا تكون لهم ارتباطات يحرصون عليها من وظيفة أو زوجة أو ولد، وعدم ارتباطهم بجماعات دينية أخرى، وكان د. سرية حريصًا على عدم إثارة الشكوك حوله، فلم ينفق مليمًا واحدًا على التنظيم، بل على العكس طلب إليهم التبرع للتنظيم.

ونجح فى تشكيل عدة مجموعات من الشباب، كل مجموعة تضم ما بين أربعة وستة أعضاء لا يعرف أى منها أفراد المجموعات الأخرى، ويذكر الطالب كامل محمد عبد القادر أنه تعرف على شخص اسمه طلال الأنصارى فى مسجد بمحطة الرمل بالإسكندرية، وبعد أن قويت الصلة بينهما ذكر له أن هناك جماعة اشترك فيها تهدف إلى الاستيلاء على السلطة فى مصر، وإقامة الدولة الإسلامية، وأرسلنى لمقابلة أمير هذه الجماعة وكان صالح سرية، وبعد أن وافق على انضمامى بايعته بقولى: «أبايعك على السمع والطاعة، فى العسر واليسر، والمنشط والمكره، والله على ما أقول وكيل وإنك على ما أقول شهيد». ويضيف طلب د. سرية أن أعمل أنا وزملائى على ضم أفراد جدد، فتمكنا من ضم حوالى ٦٠ عضوًا فى

الإسكندرية وحدها قسموا إلى ست جماعات يرأس كل منها أمير، وكانوا يعقدون اجتماعاتهم التى تتخذ طابع السرية فى الحدائق العامة، فى مجموعات صغيرة، وقد كان للجماعة فروع فى الجيزة، وكانت تعقد اجتماعات بين أعضاء الجماعة فى القاهرة والإسكندرية، كما كانت تعقد اجتماعات خاصة بين قياداتها فى الأماكن العامة، وفى المساجد، وأجريت بعض التجارب على ثبات الأعضاء، والتزامهم بالسمع والطاعة لأميرهم، فكان يطلب من بعضهم التواجد فى مكان محدد فى ساعة محددة متأخرة من الليل، وكان يطلب من البعض الآخر حمل حقائب ثقيلة زاعمًا أنها تحوى متفجرات، وطالبًا منه المرور بها أمام ميان تشغلها أجهزة الأمن. إن أسلوب د. سرية فى التجنيد، وفى اختيار الأعضاء كان يقوم على أساس تشكيل التنظيم فى صورة خلايا صغيرة متفرقة لا تعرف بعضها البعض.

أسلوب التجنيد السياسى فى تنظيم جماعة المسلمين بزعامة شكرى مصطفى :

كان شكرى مصطفى بين معتقلى الإخوان المسلمين الذين أفرج عنهم السادات فى مطلع السبعينات ومع خروجه من السجن عاد إلى موطنه فى أسيوط، ليبدأ نشاطه فى بناء تنظيم المسلمين، وكان أول من جنده ابن شقيقته ماهر عبد العزيز بكرى، الذى انقطع عن الدراسة وانضم إلى التنظيم ووصل فيه إلى حد اعتباره خليفة شكرى مصطفى، الذى يرأس التنظيم من بعده إذا ما مات أو قبض عليه، وبدأ التنظيم يتسع حتى وصل عدد أعضائه خلال خمس سنوات إلى خمسة آلاف عضو، بينهم لا يزيد عمره على ١٤ سنة، وبينهم من يصل عمره إلى ٧٠ سنة، وفيهم نساء وفتيات، وفيهم أسر كاملة رجل وزوجته وأولاده أو شاب وشقيقاته، أو آخر وأشقاؤه، وعدد كبير منهم طلبة، بجانب موظفين، وتجار صغار وعاطلين.

ويذكر اثنان من قيادات التنظيم ظروف تجنيدهم، فيشيران إلى أنهما سمعا عن شكرى مصطفى، وأنه يتحدث عن الدين، فذهبا إليه فى أسيوط واستمعا إليه، وانضما إلى جماعته، ويشير أحدهما إلى أن دوره كان تلقى رسائل أمراء الجماعات ورفعها إلى شكرى مصطفى، وتدريب الأفراد على الدفاع عن النفس، وقد أقاموا معسكرًا للتدريب البدنى والعسكرى[1]، وتنظيم جماعة المسلمين، كان التنظيم الوحيد الذى ضم النساء والفتيات إليه، وزوجهن للأعضاء الرجال، حتى المتزوجة منهن كان يحق لها الزواج من آخر، لأنها بمجرد الانضمام للجماعة تصبح حرة، ومحرمة على زوجها الآخر لأنه كافر، ولا شك أن شكرى مصطفى كان يريد إقامة مجتمع، خاص، مثالى، ينمو ويكبر، ويقوى، ليصبح قادرًا على مواجهة مجتمع الكفر والجاهلية، لذلك كانت المرأة عنصرًا هامًّا فى تنظيمه أليست هى الرحم الذى ينجب»[2]. وحتى ينظم شكرى مصطفى الأحوال الشخصية فى جماعته، أعد نوعين من البطاقات للزواج، الأول بطاقات للرجال تسجل فيها بيانات الزوج: اللقب، الاسم، ما يحفظه من القرآن والحديث، مدى فهمه للفقه، ثقافته العلمية، حالته العلمية، مدى قدرته المالية والقانونية على الهجرة ثم خانة لتقييم أمير الجماعة له، مندفع، متردد، قدرته على الثبات والثقة والولاء والفهم للمنهج.

النوع الثانى بطاقات للنساء، تسجل فيها بيانات عن الشكل، اللون، الحجم، الصفات البارزة إن وجدت، وموقفها العائلى، وقد تولى شكرى مصطفى كل الأمور ومنها اختيار الزوج المناسب للفتاة المناسبة، عقد القران، اختيار عش الزوجية، وتحديد عمل الزوجة أحيانا وكان العمل بجانب الواجبات المنزلية المعتادة، ينحصر فى الصناعات الغذائية، والحرف البسيطة، وقد اشترطت الجماعة على

---

(١) عادل حمودة، مرجع سابق، ص ١٧٨: ص ١٨٠ .

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٢ .

الفتاة التى تنضم لها أن تطيعها طاعة عمياء وكان وراء هذا الشرط قائمة كبيرة من الممنوعات والمحرمات أما هذه الممنوعات والمحرمات بالنسبة للرجال فكانت كل ما يأتى من المجتمع الجاهلى الكافر ممنوع وحرام[1].

وقد حدد شكرى هدفه أمام المحكمة بقوله: إن مهمتى الأولى والأعظم والتى لا يحل لى أن أغادرها إلى ما دونها هى تأسيس الإنطلاق الإسلامى، وإيجاد الجماعة المسلمة والدولة المسلمة، إن موضوعى الأصيل هو السعى لإقامة الإسلام[2].

وتشير مجلة روزاليوسف فى إحدى تحقيقاتها الصحفية، إلى أنه كان معروفًا أن لهذه الجماعة، معسكرات للتدريب على السلاح منتشرة فى مناطق عديدة، وإن نساء هذه الجماعة يرتدين زيًا خاصًا أشبه بزى الراهبات، وأن هذه الجماعة مسيطرة على الجمعيات الدينية فى كليات تجارة القاهرة، وهندسة عين شمس، وطب الإسكندرية، وعلوم وهندسة وزراعة المنصورة، وبعض كليات جامعة أسيوط، وأن عددًا من شباب هذه الجماعات يقومون وينامون بصفة دائمة بمساجد الجيزة، وعابدين، والقللى، وأن تنظيمات هذه الجماعة معروفة وبصورة علنية فى الكثير من المدن والقرى المصرية، وخاصة فى محافظات المنيا وأسيوط والجيزة، وأن لهذه الجماعات استمارات عضوية مطبوعة توزع على أفراد الشعب[3].

أسلوب التجنيد السياسى لدى تنظيم الجهاد :

يشير د. سعد الدين إبراهيم إلى ثلاثة أساليب للتجنيد استخدمها كل من تنظيم التكفير والهجرة والتنظيم الذى قام بعملية الفنية العسكرية، ويذكر أن

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨٣: ص ١٨٤ .

(٢) محضر جلسة ١٩٧٧/١١/٧ ، القضية رقم ٦ لسنة ١٩٧٧ ، أمن دولة عليا.

(٣) مجلة روزاليوسف القاهرية، عدد ٢٥٦١ ، ١٩٧٧/٧/١١ .

كلاً من المجموعتين ركزت بصورة مختلفة بالنسبة لكل أسلوب من الأساليب الثلاثة، ففى حين اعتمدت جماعة التكفير والهجرة بصورة أساسية على علاقات القرابة والصداقة، اعتمدت جماعة الفنية العسكرية على علاقات الصداقة والعبادة، وبالطريقة نفسها اعتمد تنظيم الجهاد فى بناء قاعدة عضويته على الأساليب الثلاثة، القرابة، الصداقة، العبادة، ويبدو أن تنظيم الجهاد فى بناء قاعدة عضويته قد اعتمد على الأساليب الثلاثة بالتساوى دون أن يركز على أى منها على حساب الأخرى[1].

ويذكر أحد أعضاء التنظيم أن الفرق الرئيسى بين أسلوب التجنيد فى تنظيم التكفير والهجرة، وأسلوب التجنيد فى تنظيم الجهاد، أن الأول كان أكثر انتقاءا من الجهاد فى عملية اختيار الأعضاء، حيث وضع شروطًا صارمة لعضويته، بينما فتح تنظيم الجهاد الباب واسعًا لدخول أعضاء جدد، وهذه الرؤية تؤيدها إلى حد كبير أوراق القضية، وبعد تكوين مجلس الشورى تم بنشاط تطبيق القرار الخاص بتوسيع قاعدة العضوية، وقد كانت المساجد خاصة المساجد الأهلية، هى الأماكن التى تم فيها رصد الأعضاء الممكنين والاقتراب منهم وتجنيدهم فى النهاية، وتم أيضاً مفاتحة الأصدقاء والأقارب والجيران.

وقد أوضح محمد عبد السلام فرج أمير التنظيم فى التحقيقات التى أجريت معه بأنه لم تكن هناك شروط محددة لعضوية التنظيم إلا أن يكون أخًا مسلمًا صالحًا ملتزمًا، ولم يكن مهمًا أن يكون عضوًا فى جماعة إسلامية أخرى، باستثناء تنظيم الجهاد القديم الذى تأسس عام ١٩٧٩ وذلك كإجراء وقائى تجاه سلطات الأمن.

ولم يكن معنى الحصول السهل نسبيًا على عضوية التنظيم أن الثقة الكاملة أعطيت لأى عضو أو أنه يتم تكليف أى عضو بسهولة بمهمة دقيقة، فقد كانت

(١) نقلا عن نعمة الله جنينة، مرجع سابق، ص ١١٤.

تلك المهام من اختصاص الأعضاء الذين تم اختبارهم فكريًا بصورة مكثفة، والذين تلقوا التدريب العسكرى المطلوب بواسطة المجلس، الذى ثبت أن أعضاءه اتسموا بالمرونة والولاء والشجاعة وفوق كل اعتبار بالكتمان[1].

وما إن كان يتم رصد العضو الصالح للتجنيد، حتى تتم مفاتحته وإبلاغه بوضوح بأهداف التنظيم ووسائله فإذا أظهر الرغبة تعرض عليه فرصة التدريب على ضوء هذه الأهداف، والتكتم المطلق كان صفة لها اعتبار كبير، وكان إلقاء المحاضرات عن الأمن جزءا من برنامج التدريب الذى لابد للعضو أن يتلقاه، وركزت المحاضرات على ضرورة عدم إلقاء أى أسئلة، عدا الأسئلة المتصلة بالمهمة التى تم تكليف العضو بها، وعدم كشف معلومات عن التنظيم للأصدقاء أو حتى أفراد الأسرة، وتجنب حضور الاجتماعات الكبيرة، وتم تعليم الأعضاء استخدام الشفرات فى كتابة الرسائل، وكإجراء أمنى تم إطلاق أسماء حركية على أشخاص معينين، وكان هناك شرط مسبق آخر لمن يكلف من الأعضاء بمهمة دقيقة وهو أن يقيم روابط تنظيمية داخل الوحدة التى ينتمى إليها[2].

من خلال هذا العرض لأسلوب جماعات الإسلام السياسى المعاصرة فى التجنيد السياسى لعضويتها فى مصر، يمكن أن نصل إلى النتائج التالية حول أسلوب التجنيد السياسى لهذه الجماعات فى مصر:

أولاً: استفادت هذه الجماعات من خبرة الإخوان المسلمين فى مجال التجنيد السياسى، خاصة التنظيم الخاص، وإن تفاوتت قدرات هذه الجماعات فى هذا المجال، فبينما نجد تفوقًا واضحًا للإخوان المسلمين، نجد أن حزب التحرير الإسلامى كان أضعف هذه الجماعات من حيث القدرة على تجنيد الأعضاء، ولعل هذا يرجع إلى سرعة اكتشافه، والقبض على أعضائه وسنلحظ

(١) نقلا عن نعمة الله جنينة، مرجع سابق، ص ١١٤: ص ١١٥.
(٢) المرجع السابق، ص ١١٥: ص ١١٦ .

ازدياد قدرة تنظيم الجهاد على تجنيد الأعضاء بالمقارنة بتنظيم جماعة المسلمين (التكفير والهجرة)، ويمكن أن نرجع هذا إلى أن هذا التنظيم قد وضع شروطًا أكثر تعقيدًا للانضمام إليه، مقارنة بتنظيم الجهاد الذى يتم بأسلوب التوسع فى العضوية.

ثانيًا: سنجد توحدًا فى قسم البيعة بين الإخوان والجماعات الثلاث الأخرى من حيث مبايعة أمير الجماعة على السمع والطاعة فى المنشط والمكره وفى العسر واليسر، والكتمان وعدم إفشاء السر حتى لأقرب الناس إليه، الأمر الذى يخلق نوعًا من أنواع الولاء الشخصى لأمير الجماعة من قبل العضو، وهو ما يجسد القيادة الفردية فى هذه الجماعات.

ثالثًا: استخدمت هذه الجماعات علاقات الصداقة والقرابة والعبادة كوسائل للتجنيد السياسى وإن اختلفت كل منها فى درجة الاعتماد على كل منها، فبينما اعتمدت جماعة الإخوان المسلمين على علاقات القرابة والعبادة فى ضم الأعضاء على مستوى المحيط العام، ركزت على علاقات الصداقة بالنسبة للنظام الخاص، كذلك ركز حزب التحرير الإسلامى على علاقتى العبادة والصداقة، أما جماعة المسلمين (التكفير والهجرة) فقد ركزت على أسلوب القرابة، بل وسنلحظ أن شكرى مصطفى قد استخدم هذا الأسلوب فى بناء التنظيم من خلال قيامه بعملية تزويج الرجال والنساء الأعضاء فى الجماعة، أما الجهاد فيبدو أنه استخدم العلاقات الثلاث بالتساوى.

رابعًا: يلاحظ تركيزًا واضحًا فى نشاط هذه الجماعات فى عملية التجنيد السياسى للأعضاء على منطقة الصعيد، بدءًا من الإخوان وانتهاء بتنظيم الجهاد، الأمر الذى يتطلب دراسة علمية متعددة الجوانب لهذه المنطقة لكى نصل إلى أسباب اتساع حلقات العضوية فى هذه المنطقة حقيقة هناك بعض الدراسات فى هذا المجال، لكننا نحتاج إلى دراسة متكاملة، حيث أن كلا منها تركز على عامل أو أكثر لتفسير الظاهرة.

خامسًا: قام أسلوب التجنيد السياسى فى معظم هذه الجماعات على أسس معقدة، وإن تفاوتت فى درجة تعقيداتها من تنظيم إلى آخر، فسنجد أن نظام تجنيد أعضاء النظام الخاص للإخوان أكثر تعقيدًا من نظام التجنيد لدى منظمة الجهاد، وسنجد كذلك أن التكفير والهجرة أكثر تعقيدًا من بقية الجماعات المعاصرة من حيث أسلوب التجنيد، إلا أن معظم هذه التنظيمات قد اجتمعت على ضرورة القيام بتكوين العضو تكوينًا فكريًا ونفسيًا وبدنيا معينا، فالعضو يخضع فيها لبرامج للتثقيف الفكرى والإعداد النفسى التى تؤدى إلى تبلور شخصية ذات خصائص معينة، أهم هذه الخصائص الثقة والطاعة والانصياع التام لأوامر أمير الجماعة، الإحساس بالذات والتميز على الآخرين غير المنتمين إلى هذه الجماعات، القدرة على العيش فى مجتمع مغلق هو مجتمع الجماعة التى ينتمى إليها، هذا بالإضافة إلى تدريب العضو عسكريًا على استخدام الأسلحة والمفرقعات، والتدريب الرياضى والبدنى للدفاع عن النفس ولا شك أن برامج الإعداد هذه تهدف إلى توظيف العضو واستخدامه للقيام ببعض الأعمال ذات الطبيعة الخاصة، ليس من بينها ممارسة العمل السياسى العلنى.

وما نخلص إليه هو أن أسلوب التجنيد السياسى لأعضاء هذه الجماعات وما يتبعه من عمليات للتكوين الفكرى والبدنى والعسكرى، يؤدى إلى إعداد العضو الإعداد المناسب للقيام ببعض أعمال العنف السياسى فى المجتمع، بطريقة لا تجعله يشعر بأنه يقوم بعمل غير شرعى أو غير قانونى، بل بطريقة تجعله يؤمن بأن ما يقوم به هو ما يجب أن يفعله، وأنه نوع من الجهاد المقدس لإعلاء كلمة الله فى الأرض، وإقامة الدولة الإسلامية استنادًا إلى رؤية وفكر هذه الجماعات.

ثانيًا – خصائص البناء الهيكلى لجماعات الإسلام السياسى فى مصر :

من خلال مراجعة الدراسات والوثائق المتاحة لهذه الجماعات، يمكن أن نحدد أهم خصائص البناء الهيكلى لهذه الجماعات على النحو التالى:

(أ) تتراوح خصائص هذا البناء بين التعقيد الشديد والبساطة بين هذه الجماعات، فبينما تقدم جماعة الإخوان المسلمين نظامًا هيكليا معقدًا ومحكمًا سواء بالنسبة للنظام العام العلنى، أو النظام الخاص السرى، فإننا نجد جماعة التكفير والهجرة، تتسم بالبساطة فى البناء التنظيمى، فأمير الجماعة فى القمة، ثم أمراء الجماعات ثم أعضاء الجماعات، ونفس الشيء بالنسبة لجماعة الفنية العسكرية، وفى هاتين الجماعتين تتوافر قنوات الاتصال المباشر بين الأعضاء، وأمير الجماعة وهو ما لا نجده فى نطاق النظام الخاص للإخوان الذى يمنع حدوث مثل هذا الاتصال إلا من خلال رقم (١) أى أمير الجماعة الصغيرة، أما تنظيم الجهاد فقد قدم نموذجًا وسطًا من حيث التعقيد والبساطة، حيث يقوم هذا التنظيم على الأمير الذى يرأس مجلس الشورى الذى يضم ١١ عضوًا، ثم ثلاث لجان فرعية يرأس كل منها أمير، وهى اللجنة الاقتصادية ولجنة الدعوة، ولجنة الإعداد، بالإضافة إلى ستة تشكيلات على مستوى محافظات قنا ويرأسها أمير واحد، نجع حمادى ويرأسها أمير واحد، أسيوط ثلاث أمراء، المنيا أميران، القاهرة والجيزة أمير واحد[1].

والواقع أن هذا التفاوت بين التعقيد والبساطة للبناء الهيكلى يرجع إلى عدة عوامل، أهمها ظروف تكوين الجماعة، والأولويات التى حددتها لنشاطها، المدى الزمنى المتاح لها قبل اصطدامها بأجهزة الأمن، الخبرات التنظيمية المتاحة لها.

(ب) على الرغم من هذا الاختلاف من حيث درجة تعقيد البناء الهيكلى بين هذه الجماعات إلا أنها جميعًا قد اتسمت بسيطرة الفرد على جميع مستويات التنظيم، نجد هذا بوضوح فى معظم هذه الجماعات بدءا من الشيخ

(١) نعمة الله جنينة، مرجع سابق، ص ١١٣ .

حسن البنا المرشد العام الأول للإخوان المسلمين، مرورًا بصالح سرية فشكرى مصطفى، فعبد السلام فرج، فمعيار الترقى فى سلم التدرج الهرمى للسلطة فى هذه الجماعات، يستند أساسًا على مدى ولاء العضو للقائد الفرد، ومن ثم فإن السمة الأساسية للعلاقة بين العضو والقيادة الفردية هى سمة الخضوع والولاء المطلق، وحتى جماعة الإخوان التى قدمت نموذجًا أكثر تقدمًا نسبيًا فى هذا المجال، كانت تأخذ بعدم إلزامية الشورى للمرشد العام للإخوان، ولا تقتصر هذه العلاقة، علاقة الولاء والخضوع على المستوى الأعلى للقيادة، ولكنها أيضًا تمتد إلى المستويات الأدنى، فالعضو فى القاعدة لابد وأن يكون خاضعًا خضوعًا تامًا لأمير جماعته الصغرى، وهذا الأمير خاضع للمستوى الأعلى وهكذا حتى نصل إلى قمة هرم السلطة فى هذه الجماعات، غير أن هذا الخضوع فى المستويات الأدنى يدور فى محور أساسى ومحدد وهو الولاء والخضوع للقيادة العليا الفردية فى النهاية، الأمر الذى يجعل السمة الأساسية لعلاقات الأعضاء بسلطة هذه الجماعات هى السمة الأوتوقراطية فى أنقى صورها ومعانيها.

(جـ) اتسم البناء الهيكلى لهذه الجماعات بالمرونة والقدرة على التأقلم مع ظروف التحرك، ولعل خير مثال على ذلك تنظيم الإخوان المسلمين فى الجامعة الذى جاء بسيطًا وعلى درجة عالية من الكفاءة، فرئيس شعبة الجامعة هو المسئول مسئولية مباشرة عن رؤساء الكليات، وتنقسم الكليات إلى أقسام يختص كل قسم منها بشئون أحد السنوات الدراسية، ورؤساء أقسام الكلية مسئولون عن سلوك أعضاء جماعتهم، أمام أمير الكلية، وقد أتاح هذا التقسيم تنظيم الإخوان فى داخل الجامعة فى وحدات من الصغر، بالقدر الذى يسمح لها بالتجمع بسرعة، ومن الكبر أيضا بالقدر الذى يسمح لها بالتأثير الفعال داخل الكليات، أما الاتصال بين الكليات فكان يتم عن طريق أمير الجامعة، ولعل أهم ما كان يدهش معارض الإخوان

فى الجامعة قدرة الزعماء أو الأمراء على توصيل الإرشادات والقرارات عبر مستويات الإخوان المختلفة بسرعة شديدة وامتثال هؤلاء الأعضاء الكامل لتلك الإرشادات والقرارات[1].

وقد أفادت الجماعات الإسلامية المعاصرة من هذه الخبرة التنظيمية للإخوان فى الجامعة الأمر الذى أدى إلى زيادة فعاليتها بشكل واضح فى الجامعات المصرية فى السبعينيات والثمانينيات.

(د) اتجهت معظم هذه الجماعات إلى الأخذ بالتنظيم العنقودى ، الذى يقوم على أساس تكوين جماعات صغيرة لا يعرف بعضها البعض، وذلك من أجل توفير أقصى درجة ممكنة من درجات السرية لنشاطها، فأقصى عدد ممكن من الأعضاء الذين كان يمكن أن يعرفهم أو يتصل بهم عضو النظام الخاص فى الإخوان كان ثمانية[2] وتنظيم صالح سرية كان من مجموعة من الخلايا التى لا يعرف بعضها بعضًا، ونفس الشىء بالنسبة لتنظيم الجهاد.

غير أن هذه الخلايا العنقودية كانت ترتبط بالقيادة العليا لهذه الجماعات، الأمر الذى يتيح لها إمكانية الحركة السريعة، وتنفيذ ما يصل إليها من توجيهات من القيادة بشكل منظم وفعال.

والواقع أن هذه الخصائص الذى اتسم بها الهيكل التنظيمى لهذه الجماعات وإن كان قد جعل من السهل على قيادة هذه الجماعات تحريك وتوجيه أعضائها للقيام ببعض الأعمال والأنشطة العنيفة فى المجتمع، إلا أنه قد أوجد أيضًا ظاهرة

---

(١) د. ريتشارد ميتشل، أيديولوجية جماعة الإخوان المسلمين، الجزء الثانى، التنظيم والأيديولوجية، ترجمة منى أنيس وعبد السلام رضوان، القاهرة، مكتبة مدبولى، بدون تاريخ، ص ٤٢: ص ٤٣ .

(٢) محمود الصباغ، مرجع سابق، ص ١٤٥ .

أخرى أكثر تعقيدًا، يمكن أن نطلق عليها ظاهرة توالد الجماعات الأكثر راديكالية وعنفًا من بين ثنايا هذه الجماعات[1]، فنظرًا للتدرج الهرمى المحكم والصرامة الشديدة فى الخضوع للأمير، فإن بعض الأفراد من هذه الجماعات حاولوا الخروج منها، ليقوموا بتشكيل جماعات أخرى أكثر تشددًا وأكثر ميلاً لاستخدام العنف، وحدث هذا فى العديد من الحالات، خاصة تلك الحالات التى يرى فيها البعض أن قرارات القيادة لم تكن مناسبة من وجهة نظرها بالنسبة لظروف الحركة ومع صعوبة توصيل هذه الآراء إلى القيادة العليا، وعدم وجود تقاليد للمناقشة والحوار الديموقراطى فى البناء التنظيمى لهذه الجماعات، فإن البعض قد لجأ إلى أسلوب الخروج وتشكيل جماعة أو جماعات جديدة، وكان رد الفعل عنيفًا من جانب أى جماعة تنشق عنها مجموعة، الأمر الذى يصل إلى حد التصفية الجسدية لهؤلاء الأعضاء المنشقين، وكان لابد لهؤلاء الأعضاء المنشقين من مواجهة العنف بالعنف، وهكذا تتسع دائرة العنف حتى فى العلاقات بين هذه الجماعات وبعضها البعض، ليصيب رذاذها المجتمع.

ثالثًا – التكوين العضوى لهذه الجماعات :

ونقصد به فى هذا البحث، نسبة الشباب إلى كبار السن فى هذه الجماعات، والواقع أن معظم الدراسات والوثائق المتاحة من هذه الجماعات توضح أن النسبة

---

(١) بعد كتابة هذا البحث تعددت أحداث العنف التى قامت بها هذه الجماعات فى المجتمع المصرى وقد ظهرت مجموعة من الجماعات الأكثر راديكالية وعنفا، وهى منشقة عن تنظيم الجهاد، وهى الناجون من النار، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، الشوقيون الحركيون، الأمر الذى يؤكد الفكرة التى توصلنا إليها عن ظاهرة توالد الجماعات الأكثر عنفا فى نطاق الظاهرة محل البحث. انظر ملفا صحفيا متكاملا عن هذه الجماعات فى المصور – القاهرة ، تصدر عن دار الهلال العدد ٣٤٤٨ – ١٩٩٠/١١/٩ ، ص ١٦ ، ص ٢٥.

الغالبة من أعضائها كانت للشباب، بل إن معظم هذه الجماعات كان يركز نشاطه وسعيه لتجنيد الأعضاء بين الشباب من طلبة المدارس والجامعات ولا يختلف فى هذا جماعة الإخوان المسلمين، التى أولت الجامعة اهتمامًا خاصًا، وأقامت تنظيمًا خاصًا بالجامعة، كما أن معظم أعضاء النظام الخاص أو السرى الذى اضطلع بالقيام ببعض الأعمال العنيفة، كانوا من الشباب[1]، والواقع أن طغيان عنصر الشباب على التكوين العضوى لهذه الجماعات يشكل عاملاً مساعدًا على استخدام هذه الجماعات للعنف، لما يتسم به السلوك السياسى للشباب من خيالية ومثالية ورفض للواقع[2].

رابعًا – دراسة تحليلية مقارنة لواقع البناء التنظيمى لجماعات الإسلام السياسى فى الوطن العربى :

لا تتوافر المعلومات الخاصة بالبناء التنظيمى لجماعات الإسلام السياسى فى بقية الأقطار العربية بالقدر المناسب، كما هو الحال فى مصر، ومن ثم ففى ضوء ما هو متاح من معلومات، سنحاول أن نقدم دراسة موجزة لواقع البناء التنظيمى لهذه الجماعات من حيث أسلوب التجنيد السياسى، للانضمام إلى هذه الجماعات، وخصائص بنائها الهيكلى، وتكوينها العضوى، وذلك مع مقارنة هذه الجوانب بما هو قائم فى مصر.

---

(١) أكدت هذا معظم الدراسات التى قام بها د. سعد الدين إبراهيم وحميد الأنصارى، ونعمة الله جنينة على أعضاء الجماعات الإسلامية حيث أكدت معظم هذه الدراسات غلبة عنصر الشباب على أعضاء هذه الجماعات، وتوصل إلى نفس النتيجة حسنين توفيق إبراهيم فى دراسته عن العنف السياسى فى مصر، مرجع سابق. وتناول هذا الموضوع د. فؤاد زكريا فى كتابه: الحقيقة والوهم فى الحركة الإسلامية المعاصرة، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى عام ١٩٨٦ .

(٢) حسنين توفيق إبراهيم، كيف نفهم ما حدث فى الجزائر، مرجع سابق، ص ٢٩ .

(أ) أسلوب التجنيد السياسى :

فيما يتعلق بأسلوب التجنيد السياسى للأعضاء سنجد أن هذه الجماعات قد استخدمت علاقات القرابة، والطائفة والصداقة والعبادة، كمدخل لتجنيد الأعضاء، وإن اختلفت درجة أهمية كل منها من قطر إلى آخر، ففى المناطق العربية التى تتسم بالتنوع الدينى والمذهبى والطائفى كما هو الحال فى دول المشرق العربى التى تضم سوريا والعراق ولبنان وفلسطين والأردن[1]، سنجد أن، أسلوب التجنيد يكون مدخله علاقات القرابة أو الطائفة، وهذا ما تؤكده الخبرة السورية فى هذا المجال حيث ينتمى معظم أعضاء جماعة الإخوان المسلمين إلى السنة، والجدير بالذكر أن هذه الجماعة بفصائلها المختلفة تمثل صلب جماعات الإسلام السياسى المعارضة للنظام السورى، والتى دخلت فى مواجهة عنيفة مع النظام، سنوضحها فى موضع لاحق من هذه الدراسة، ونفس الشىء وإن كان بوضوح أكثر سنلحظه لدى الجماعات الإسلامية فى لبنان، كجماعة أمل، وحزب الله، فعضوية مثل هذه الجماعات تكاد أن تكون قاصرة على الشيعة، كما أن التيار الإسلامى الذى سيطر على مدينة طرابلس فى شمال لبنان كان تيارًا سنيًّا، وكان ذلك ابتداء من عام ١٩٨٥[2]، وبينما لا نجد لحركات الإسلام السياسى نشاطًا واضحًا فى العراق مقارنة بالأقطار العربية الأخرى إلا أنه بفعل نجاح الثورة الإسلامية فى إيران بزعامة الخومينى، ظهرت بعض التجمعات الشيعية الموالية لإيران[3]، إذا ما انتقلنا إلى السودان فإننا سنجد أن مدخل التجنيد السياسى لحزبين إسلاميين هما حزب الأمة، والاتحادى، كان الانتماء الطائفى لجماعة الأنصار بالنسبة لحزب الأمة، أو الانتماء إلى الطائفة الختمية بالنسبة للحزب

(١) د. غسان سلامة، المجتمع والدولة فى المشرق العربى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ ، ص ٢٤٩: ص ٢٥٠ .
(٢) المرجع السابق، ص ٢٥١ .
(٣) المرجع السابق، ص ٢٦٢ .

الاتحادى بعد سيطرة الجناح التقليدى عليه برئاسة الميرغنى، أما الجبهة الإسلامية بزعامة د. حسن الترابى، فهى تجمع يضم المثقفين[1]، ومن ثم فنتوقع أن يكون المدخل إلى التجنيد مختلف إلى حد ما.

وفيما يتعلق بتونس، فقد أوضحت دراسة الهرماسى، اختلاف مناطق تركز هذه الجماعات من منطقة إلى أخرى فى تونس[2]، الأمر الذى يجعل لاعتبارات القرابة من وجهة نظرنا أهمية خاصة فى عملية التجنيد السياسى لأعضاء هذه الجماعات، وإن كان لعلاقات العبادة تأثير لا يقل أهمية فى ضوء رواية الغنوشى مرشد الجماعات الإسلامية، حيث أن هذه الجماعات بدأت فى الانتشار من خلال الحلقات التى كانت تعقد فى المساجد، فى الجزائر سنلحظ أن لعلاقات الصداقة أو الزمالة فى الدراسة تأثير واضح فى التجنيد لعضوية هذه الجماعات، حيث سنجد أن الجامعة كان الميدان الرئيسىّ لنشاط هذه الجماعات، والواقع أن هذه الأساليب أو المداخل للتجنيد السياسى لعضوية هذه الجماعات لا تختلف عما هو قائم فى مصر، ونستطيع أن نصل من خلال هذا التحليل إلى أن ثمة تأثير لأسلوب التجنيد السياسى على السلوك السياسى لهذه الجماعات، فكلما كان المدخل إلى هذا التجنيد هو العلاقات الطائفية أو علاقات القرابة، كلما اتسم السلوك السياسى لهذه الجماعات بازدياد درجة العنف، يؤكد هذا ما يحدث فى سوريا ولبنان، وما يحدث فى صعيد مصر حيث المدخل العائلى أو القرابى أو الطائفى هو المسيطر على عملية التجنيد السياسى للأعضاء، ويلى هذا مدخل علاقات الصداقة والزمالة خاصة إذا كانت بين الشباب، الأمر الذى يضفى على سلوك الجماعات التى تستند إلى هذا الأسلوب سمة العنف أيضًا، تؤكد هذا خبرة للجماعات الإسلامية فى مصر، والجزائر، أما مدخل العبادة فإنه قد يؤدى

---

(١) حديث د. الترابى إلى مجلة المصور القاهرية، مصدر سابق.
(٢) الهرماسى، مرجع سابق.

إلى سلوك أقل عنفًا وتشددًا، كما هو الحال بالنسبة لتونس، والمحيط العام أو النشاط العلنى لجماعة الإخوان المسلمين فى مصر.

وتقدم السعودية نموذجا قد يبدو أنه يخرج قليلاً عن نطاق هذه القاعدة، إذ جمعت جماعة المسلمين التى قادها العتيبى بين أسلوب الانتماء القبلى وأسلوب العبادة، كان الأسلوب الأول متبعًا بالنسبة للسعوديين، والآخر بالنسبة لعامة المسلمين حيث ضم التنظيم أفرادًا من جنسيات إسلامية مختلفة، ومع ذلك فقد اتسم سلوكه بالعنف الشديد، ويرجع ذلك إلى غلبة التكوين القبلى على هذا التنظيم من وجهة نظرنا، الأمر الذى يؤكد فى الحقيقة القاعدة التى توصلنا إليها فى هذا الصدد.

لا تقتصر مسألة التجنيد السياسى على مسالك ضم الأعضاء، وإنما تتضمن كذلك التكوين الفكرى والنفسى لهؤلاء الأعضاء، وهذه مسألة نجد لها شواهد ملموسة سواء فى مصر أو تونس أو السودان أو السعودية، هذا بالإضافة إلى اهتمام هذه الجماعات بالتأهيل البدنى والعسكرى اللازم للأعضاء، للقيام بالمهام التى سيكلفون بها، وسنلحظ وجود درجة من درجات التوحد فى الإعداد الفكرى والنفسى للأعضاء فى هذه الجماعات الأمر الذى يؤدى خلق رؤية فكرية واحدية الجانب منغلقة على الذات، لدى أعضاء هذه الجماعات.

(ب) فيما يتعلق بخصائص البناء الهيكلى:

لا تقدم جماعات الإسلام السياسى فى بقية أقطار العالم العربى جديدًا عما أشرنا إليه بصدد الخبرة المصرية فى هذا المجال، فأمير الجماعة له السلطة شبه المطلقة، وله البيعة على الطاعة، ثم يوجد عادة هيئة للشورى، فالتكوينات الأدنى، ولا توجد معلومات متاحة بالقدر الذى يسمح بالتحليل عن هذه التكوينات، وإن كانت مظاهر سلوكها السياسى خاصة فى الجامعات توحى بأنها تأخذ شكل الخلايا الصغيرة، التى يمكن تجميعها بسرعة وبفعالية من جانب القيادة،

أما عن إمكانية ممارسة الحوار الديموقراطى فى نطاق البنية التنظيمية لهذه الجماعات، فسنلحظ أن الخبرة التونسية والسودانية تقدم أسلوبًا أكثر تقدمًا فى هذا المجال، وفى هذا الشأن يشير الدكتور حسن الترابى، إلى أن: «الجبهة الإسلامية، مؤسسة ديموقراطية أسس الحزب فيها على المؤتمرات الشعبية، وتقوم كل المناصب القيادية بغير استثناء على الانتخاب»[1]؛ ونفس الشىء نجده فى تونس على نحو ما يذكر الغنوشى[2]، وسنجد تراجعًا فى فكر هذه الجماعات فى الحالتين السابقتين عن مقولات البيعة والمفاهيم المتعلقة بها، غير أن أهم ما سنلحظه بالنسبة للجبهة الإسلامية فى السودان والاتجاه الإسلامى الذى أطلق على نفسه حزب النهضة مؤخرًا فى تونس، هو انخفاض حدة الانشقاقات التى حدثت بها مقارنة بما هو قائم فى الأقطار العربية الأخرى، الأمر الذى يجعلنا نصل إلى نتيجة مؤداها أنه كلما اعتمدت هذه الجماعات على أسلوب الحوار الديموقراطى فى إطار بنائها التنظيمى كلما استطاعت أن تحافظ على تماسكها، وكذلك تزداد قدراتها على استيعاب الاتجاهات الأكثر تشددًا بين فصائلها، الأمر الذى يتيح للقيادة فرصة أفضل للتحكم فى نشاط هذه الفصائل وتوجيهها بما يتوافق وما تراه القيادة محققا لأهدافها ومصالحها فى المجتمع، خاصة مع تبلورها فى شكل حزب سياسى، الأمر الذى يضفى على سلوك هذه الجماعات سمة أقل حدة وعنفًا مقارنة بالجماعات الأخرى التى لا تستخدم هذا الأسلوب الديموقراطى فى نطاق بنيتها التنظيمية حيث يكثر فى هذه الحالة الأخيرة توالد الجماعات الأكثر تشددًا، والأكثر اقتناعًا باستخدام العنف السياسى.

(جـ) فيما يتعلق بالتكوين العضوى لهذه الجماعات :

سنلحظ غلبة عنصر الشباب بين أعضاء هذه الجماعات، الأمر الذى تؤكده العديد من الدراسات التى أجريت فى هذا المجال، سواء بالنسبة لمصر أو تونس

---

(١) حديث د. حسن الترابى، إلى مجلة المصور القاهرية، مرجع سبق ذكره.

(٢) راشد الغنوشى، حقائق حول حركة الاتجاه الإسلامى، مرجع سابق.

أو الجزائر أو المغرب، أو السعودية[1]، الأمر الذى يضفى على السلوك السياسى لهذه الجماعات طابع العنف الذى يميز سلوك الشباب السياسى، فالشباب طاقة تحكمها بعض الرؤى المثالية أو الخيالية، إذا ما اصطدمت هذه الرؤى المثالية بالواقع الذى يتناقض معها عادة، لابد وأن تنطلق فى صورة عنيفة[2].

وخلاصة ما نصل إليه فى نهاية هذا المبحث هو أن عنف جماعات الإسلام السياسى يرجع أساسًا إلى البنية الفكرية والتنظيمية لهذه الجماعات، وإن كنا لا نسقط أثر عنف الحكومات العربية فى مواجهاتها لهذه الجماعات، فى ازدياد درجة توجهها إلى استخدام العنف السياسى كأداة للتغيير فى المجتمع العربى، وفى هذا الشأن يقول د. فؤاد زكريا:

«إن العنف ليس ظاهرة طارئة على هذه الجماعات المتطرفة، وإنما هو شىء ينتمى إلى تركيبها ذاته وهو جزء لا يتجزأ من تكوينها المذهبى والنفسى، وهو وسيلتها الوحيدة لتحقيق أهدافها فى المجتمع»[3].

---

(١) انظر فى ذلك: نعمة الله جنينة، تنظيم الجهاد هل هو البديل الإسلامى لمصر، مرجع سابق، حيث تشير إلى أن حوالى ٨٤٪ من إجمالى العينة كانت تحت الثلاثين، وإن ٢٨٪ ما بين سن العشرين و٢٩ ، ص ١٤٣ . – وحيد عبد المجيد. التعددية فى الجزائر، مرجع سابق، وحسنين توفيق إبراهيم، كيف نفهم ما يحدث فى الجزائر؟ مرجع سابق، تؤكد هذه الدراسات على غلبة عنصر الشباب على هذه الجماعات. – د. محمد عبد الباقى الهرماسى، مرجع سابق، يشير إلى نفس الظاهرة فى تونس. – د. محمد عابد الجابرى، الجماعات الإسلامية المعاصرة فى المملكة المغربية، مجلة اليقظة العربية، القاهرة، العدد السابع، السنة الأولى، سبتمبر ١٩٨٥ ، حيث يشير إلى أن غالبية أعضاء هذه الجماعات فى المغرب من الشباب وطلاب المدارس والجامعات استنادًا إلى دراسة ميدانية أجريت فى هذا الصدد، ص ٣٤: ص ٣٥ . – نفس الشىء يتوصل إليه د. رفعت سيد أحمد، فى مقدمة كتابه عن فكر جهيمان العتيبى قائد حركة اقتحام الحرم المكى عام ١٩٧٩ ، إذ يشير إلى غلبة عنصر الشباب على المقتحمين.

(٢) (مرجع سابق).

(٣) د. فؤاد زكريا، الحقيقة والوهم فى الحركة الإسلامية المعاصرة، مرجع سابق، ص ١١٠.